الزيارة

قصة بقلم زهير أحمد الشايب

مجاهد ، اشهر فقير في قريتنا . اسمه بالكامل مجاهد عبدالسميع راضي . رجل طيب ومستقيم ، خجول كعذراء ، صبور كجمل ،متسامح، يسمع سخرية الاطفال فيعجب لذكائهم ، وقد يدعو لهم بطول العمر ، فالعيال احباب الله ، وزينة الحياة الدنيا ، وله منهم خمسة ،اصغرهم مريض . اشاروا عليه أن يذهب الى المستشفى في شبين الكـــوم . المواصلات سهلة ومريحة . ولكن .. الشكوى لغير الله مذلة، والشفاء دائما من عنده . صدق ابوه حين كان يقول ، انه ((هو)) حكيم الفقراء. ولكن .. اف على الانسان . عجول لا يطيق الصبر . كل شيء سيتحسن باذن الله ، وقلبه لا يكذب ابدا . وزوجته هي الاخرى بنت حلال . منامها لا يخيب . رأت المنام نفسه ثلاث ليال متتالية . وسط دارهم مليء بكيزان الذرة الخضراء . كتاكيت لا حصر لها تملأ البيت . اللون الاخضر في المنام خير ، والكتاكيت بركة لا حد لها .

ـ انت يا مجاهد . انت نايم ؟

ـ لا ابدا يا شحات .

سأل شحات عن اللمة وتجمع الناس . اوجز مجاهد في اسلوب يناسب جلال المناسبة ان موكب المحافظ سيعبر القرية .

ـ المحافظ ! معقول ؟ طيب اسمع يا شيخ الخفر ..

كثرت ثرثرة الشحات . ضاق به مجاهد وغضب من سخريته ، فهو جلف لا يعرف الاصول . الحصان الابيض الذي يركبه الصول توفيق قادم نحوه . لا تجوز السخرية والثرثرة في هذه الساعة .

ـ اسكت يا شحات . عيب .

ضحك الشحات عاليا . قال بلسانه السليط يسخر منه :

ـ حاضر يا حضرة الشاويش .

غلى الدم في عروق مجاهد . رفع خيزرانته فجأة وبغضب .

ـ والله العظيم اضربك . انت فاهم ؟ عمى في عينك .

تراجع الشحات واغلق فمه . الناس لا تأتي الا بالشدة . انت المخطيء يا مجاهد . سكوتك جعل الطابور حولك يختل . الاولاد تخطت مكانها ، وترثرة الفلاحين لا تنقطع . رفع مجاهد خيزرانته مهددا فانتظم الطابور .

ـ خذ بالك يا مجاهد .

ـ حاضر يا حضرة الضابط .

انت سبب البلاوي يا شحات الكلب . اول مرة يأخذ عليه اي واحد من الرؤساء اي مأخذ . لماذا سرحت يا مجاهد ؟ انت يا من تسهر الليالي ولا تنام . نوم الخفير بالليل خيانة . ارواح الناس امانة في رقبته . سيسأل عنها امام الله . ان كان الناس لا يعرفون فضلـك ، فالفضل لن يضيع عنده . اللصوص وحدهم هم الذين يعرفون من هو مجاهد . يخافونه كالموت . لو كان زميله ((خضر)) مكانه تلك الليلة ، لضاعت بقرات الشحات . الشحات نفسه الذي يسخر منه الان.اناس لا خير فيهم .

ـ انت يا ((اخينا)) ، ستقابل المحافظ بالقميص ؟!

ـ وانت مالك ؟

ـ اخرس يا كلب .

الشدة دائما تنفع يا مجاهد . انصرف الشحات وكفاك ثـرثرته وسخريته . وحتى لو عاد ، سيعود متادبا وفي مظهر يليق . حافي ولا يرتدي سوى القميص ؟ لا يليق ان يرى المحافظ هذا . لكن .. الاطفال يا مجاهد . اللعنة على امهاتهم . وجوههم ((مقشفة)) لم يلمسها الماء. الذباب يحط عليهم . الذباب شيء خطير تسبب في مرض محمود ، ابنه . اه ! متى تتثور النساء ؟ ماذا تقول في الجهل يا مجاهد ؟ لكن المحافظ سيزور القرية . سيزورها اليوم . وكل شيء يجب ان يكون في مظهر يليق . بالله لو غسلت الامهات وجوه ابنائهن، ماذا سيتبعهن؟ قدم تقدير للمسئولية بحق . تظن الناس كلها مثلك يا مجاهد ؟ هم ينامون وانت يقظ ، وكل شيء لن يضيع هباء . شيء مفاجيء يثيـر سخطه . لفافة من الاوراق نلقى في وسط الشارع .من فذف بها ؟ ارغى مجاهد وازبد ، وجرى على لسانه كلام كثير ، وبسرعة حمل الورقة ، والقاها بكل قوته . قرية تستحق الحرق . لا نغسل وجوه ابنائها، وندع اجسادهم للذباب . يحرسهم بالليل ويسخرون منه بالنهار . لو كانوا يفهمون، لاغتنموا الفرصة التي لا تلوح للقرية الا مرة في العمر.المحافظ سيزورها ، ولو رضي عنهم لاصابهم الخير ((العميم)) ، ستبنى المدرسة الاعدادية ، سيقام المستشفى الذي نعطل بناؤه عامين . المستشفى يا مجاهد . لو يمكنك ان تغير الناس يا مجاهد ! لو احتذوا حذوك ! كل شيء فيك في الحقيقة لامع يليق . الولد ((عتريس)) ـ عافاه الله ـ احيا حذاءك من الموات . جعله لامعا كالجديد . هذا ما كان يحمل همه مذ علم بالزيارة . مجاهد يتأمل نفسه . لمس بيده كسرة ((المكوى)) في كم جلبابه . الجلباب ناعم مسحت خشونته ((حديدة)) الكواء . كل شيء فيك لامع يا مجاهد . حتى ماسورة البندقية . الزيـت ازال صدأها ، وبقطعة خرقة تلفت لبندقيتك الانظار . حذار يا مجاهد وانت تجلو ماسورة البندقية . فوهتها في بطنك . زميل لك في قرية مجاورة فعل ما تفعل فانطلقت في بطنه رصاصة . ماذا يفعل الاولاد بعدك؟ لكنه يستطيع ان يرى نفسه بحق ((اشيك)) خفير . شاهد ملابس خضر وسلطان وعطا وغيرهم من زملائه ، حتى ملابس شيخ الخفراء نفسه ، فشعر بامتعاض . انت بخلاف الناس جميعا يا مجاهد . حتى انظر الى منطقة خضر وسلطان . الكلام والثرثرة والطابور العوج . الصول توفيق لا يفارقهما ، ومنذ حادثة الشحات لم يعد اليه . الثقة فيك يا مجاهد كبيرة . يجب ان تكون اهلا لها . لكن .. لو ان الاطفال كانوا نظفا ! يا عالم من تظنونه ؟ انه المحافظ .مجاهد يود ـ لو ان الامر بيده ـ ان يفرش له الارض بالحناء . عربته ستفوص فيهذا التراب ؟ وتلوث عجلاتها بهذا الطين ؟ اولاد الكلب ، القوا الماء في الشارع من ايام . لو يعرف من هم ، لسقاهم من الطين .

ـ خذ بالك يا مجاهد . الطابور .

مرة اخرى نسيت نفسك يا مجاهد . الشاويش عبد المجيد على دراجته يكرر التنبيه . لا بد ان موعد قدومه قد ازف

ـ انت يا ولد . انت يا بنت .

الخيزرانة تلسع من يجتاز الطابور . الاولاد يتراجعون . عيونهم تبحلق في الاتجاه الذي سيأتي منه . اللفط يزداد .

ـ هس يا ولد . اخرسي يا بنت .

مجاهد يهدد من يتحدث بان ينهال فوقه . لا بد ان امرأته على غير بعيد منه ترى سطوته . قلبه يدق بعنف . آن الاوان وسيـرى المحافظ ، وسيراه المحافظ . سيأتي موكبه من هذا الاتجاه . سيغضب بالتأكيد من اعوجاج الطابور في مناطق خضر وسلطان وعوض . سيقرف من ملابسهم . حتى وضع الانتباه لا يعرفونه ؟ حرام والله ان يكونوا

من رجال الحكومة . سيخجل منهم حضرة الضابط ، وسيشتمهم :

ـ يا خفر الحلب تصوروا . كونوا مثل مجاهد . رجل عارف واجبه.

يسبه الضابط . كثيرا . انت احسن خفير يامجاهد . استغفر الله . لا يسكر في نفسه الا ابليس . لكن الانسان يفتاظ بحق . هل هؤلاء خفر ؟ رجل الحكومة لا بد ان يظل يقظا . لا ينام في دركه . كل ليلة سمرات الدورية بندقية واحد منهم وضعه في ((سين وجيم)) .. لم تحدث معه مطلقا هذه الحكايه والضابط يعرف هذا جيدا . حتى زوجه الضابط ـ الشديه الحلاوة ـ هي الاخرى معجبة به . بلسان زوجها نفسه تقول :

ـ ليس فيهم الا مجاهد .

ولا ينام وسميع نوما الا اذا كان منزله في دركه . طيبة والاصيل اصيل . ويا رب حكمتك . لا هو بالمن ولا هو بالحسد . اولادها في بياض السهد وصحة الحصان . كل شيء بأمره يا مجاهد ولا داعي للدثر . الفرج قريب وحلم زوجتك لا يخيب . سيمر المحافظ وهو واقف . وعندما يصل الى مكان منطقتك سيتوقف . رجل النظام يحب النظام . سيشير الضابط اليه : هذا يا حضرة المحافظ احسن خفير لدينا . يحسباه اللصوص نائمين . ساهر لا ينام . زوجتي لا تشعر بالاطمئنان الا في نوبته . سيستدعيه المحافظ . تعال يا مجاهد . رنين الكلمة جميل . سيعرف المحافظ اسمك . سيعرف اسمك . سيعرفك يا مجاهد . وسينزل من العربة . الضابط يبتسم ابتسامته الجميلة . زادهم الله من فضله .

ـ اسمك ؟

ـ مجاهد عبد السميع راضي يا سعادة البيه .

ـ طلبابك يا مجاهد .

ـ السنر يا فندم نعمة وعطاء .

ـ عندك اولاد ؟

ـ خمسة يا سعادة البيه كلهم ان شاء الله خفر في خدمة الحكومة .

ـ خمسة ! ما شاء الله .

ـ لكن ..

ـ هه . قل يا مجاهد . قل يا بطل .

ـ محمود . اصغرهم . مريض يا سعادة البيه .

ـ مريض ؟ يعالج في الحال .

ـ يا حضرة المحافظ هذا الخفير قبض على عشرين حادث سرقة في اقل من شهر .

ـ صحيح كلام الضابط يا مجاهد ؟

تكلم يا مجاهد ولا تخجل . هذه فرصتك .

ـ .. وامسك حادثة قتل في غير دركه . ومن قبل ان تقع .

ـ لا يوجد في الدنيا كلها خفير بهذا الشكل . يزاد مرتبه جنيها كاملا .

امسك قلبك يا مجاهد .

ـ .. ولا بد من مكافأة ضخمة .

كم ستكون المكافأة يا ترى ؟ عشرة جنيهات ؟ خمسة عشر ؟ ربما عشرين . المحافظ والضابط يحيطان به . انتباه يا مجاهد . وصورة للضغط . امرانه تزيد من الفرحة . ليس هكذا يا امرأة . لا يصح هذا امام المحافظ . المحافظ يبتسم . والجرائد تنشر الصورة ، وينادي الشيخ مصطفى مسعود في دكان بقالته :

ـ تعال يا مجاهد . صورتك في الجريدة مع المحافظ .

ـ لا احد فدك يا مجاهد . بقيت من الحكومة .

ـ طول عمره من الحكومة يا ((مفلين)) .

ـ ابسط يا عم . سيعرفونك في ((مصر)) .

القاهرة أيضا ستعرفك يا مجاهد . احلام يا اولاد ؟ كل شيء عند الله ميسور . الجرائد تنشر صورتك . واسمك يا مجاهد سيكتب بالمطبعة . بالمطبعة يامجاهد . يعني كبيرة ؟ صور المجرمين تنشر هي الاخرى . مجاهد يعجب ان الصحف تنشر صور المجرمين .

ـ والله ، حقهم الاعدام لا الشهر .

الحفد سيأكل قلوب خضر وعطا وشيخ الخفراء ايضا . من يدري؟ قد يرفونك مكانه . او لعل المحافظ يجعلك من حرسه . قلبك يدق يا مجاهد . امسك نفسك . يجب أن يكون مظهرك لائقا . ترى هل((اللبدة)) في وضعها المرسوم ؟ لو كانت معه مرآة ! لعل التراب قد ذهب بلمعان نحاسها . لو يسمح الوقت بدقيقة يطمئن فيها على مظهره !

ـ الخفير مجاهد عبد السميع راضي . شد وسطك . انتباه !

عاد الشحات الملعون الى عبثه مع شلة من زملائه الاجلاف.مجاهد بقت . الغضب اخرجه عن وعيه . فلاحون بحق لا يعرفون الذوق . النظام اخجل يا مجاهد . سيفسد اللاعبين كل شيء . ولن يجد المحافظ شيئا يرضيه في البلدة . سيظنه كفيره من الخفراء . حتى الضابط سيغضب : ـ حتى انت يا مجاهد نظام منطقتك مخجل ؟

ـ الاولاد يا حضرة الضابط .

ـ الاولاد ؟ يا اخي اضربهم .

وبالعصا يصلح كل معجوج ، والصمت خيم على الشياطين.الطابور في استقامة السهوم . السكون شمل الجميع . لكن اف على جيوش الذباب . عينا مجاهد تتحركان في محجريهما . عيناً مجاهد في وسط رأسه . عيناه تريان من امام ومن خلف . يمناه تتأكد من وضع لبدته تلمس نعومة ذقنه الحليقة . شاربه المفتول دليل رجولة . البندقية لامعة وكذلك نحاسة اللبدة . كل شيء على ما يرام . منامك يا ام محمود لا يخيب . سترين الان قيمة زوجك . قلبك يدق يا مجاهد . عيناه عودان لتفرضا على الاولاد الصمت والسكون . عصاه كفيلة بأن تدق رأس اي عابث كالشحات .

ـ استعد يا مجاهد .

ـ حاضر يا شاويش . ((جاهزين)) .

مجاهد يسمع دقات قلبه . اصوات من بعيد تصيح . سحابة غبار تلوح عن بعد . الصياح يزداد . الضجيج يعلو ودقات قلب مجاهد تعلو اكثر . الصياح يقترب وما تحت السحابة يتضح . ست عربات.امامها وحولها متوسيكلات . العظمة تضج من محركاتها . عظمة وسلطان وجل صاحب الامر . لكن .. اين المحافظ . وضابط النقطة ؟ في اي عربة. الصياح يمتد الى منطقته كما تمتد السنة النيران في الحطب . الاولاد

قريبا :

الناس والحب

مجموعة قصصية جديدة

تأليف

محمد ابو المعاطي ابو النجا

منشورات دار الاداب

يندفعون نحو الموكب . اختل النظام .

ـ مكانك يا ولد . مكانك يا بنت . يا اولاد الـ ...

لا احد يسمع يا مجهد . لكن اين المحافظ . في اي عربة . ست عربات . ابعد يا ولد . حافظ على النظام . ماذا تجدي عصاك الان يا مجاهد؟ لموسيكلات كفيلة بابعادهم عن الموكب . حذار يا ولد ان يدوسك احدهم . اين ضابط النقطة ؟ الموكب يقترب جدا . نسيت نفسك يا مجاهد . اقفل فمك المفتوح فهذا لا يليق . بندقيتك ليست في وضع انتباه . الملاعين داسوا حذاءك اللامع . كسرة « المكوى » مسحها جنب الاولاد . انت رجل حكومة . لا تنس نفسك كالاطفال . العربات في مواجهته تماما . اين المحافظ من بين كل هؤلاء ؟ لا اثر لضابط النقطه.

ـ يحيا سيادة المحافظ .

ـ يحيا العدل .

ـ عاش رجال الحكومة .

ـ نريد المدرسة الاعدادية .

ـ نريد المستشفى .

اخرس يا ولد . اخرسوا يا كلاب . ليس هكذا تكلمونه.الاجلاف مستمرون في هتافاتهم . لا احد يستمع لاوامرك . سيغضب من قلة الذوق هذه . لكن . اين هو ؟

ـ من هو المحافظ يا شحات ؟

ـ من فينا يسأل الاخر ؟

دقات قلب مجاهد تزداد عنفا . العرق يرطب وجهه ويبلل جبهته. شعر رأسه يقف . عيناه زائغتان . ضابط النقطة لا اثر له . الموكب يجتاز مجاهد بمسافة كافية . نار الحماسة تنطفىء في منطقته لتشتعل في منطقة عطا حيث الموكب . الاولاد من حوله يصمتون كجمرات نار انطفأت ، ثم يتبعثرون كالرماد . مجاهد يعجب لتفرقهم . نظراته لا تزال ترقب . موكب المحافظ لم يصل بعد . لماذا يتفرقون ؟ ..الضجة من حوله تزداد خفوتا .. الصول توفيق قادم على حصانه الابيض ، من الاتجاه الذي ينبغي ان يأتي منه المحافظ .

ـ مجاهد . اذهب يا ابني واسترح . انتهت على خير .

ـ وموكب المحافظ ؟

ـ امرك عجيب . هو الذي مر .

السؤال يفلت من لسان مجاهد دون وعي وبصوت هاتف :

ـ والمحافظ كان موجودا ؟

ـ طبعـا .

الكآبة تعلو ملامح مجاهد . نظراته تسبح في الهواء . الصـول يتأمله بتمعن . يهز رأسه في عجب ، ثم يقهقه عاليا . يقول وهـو لا يقصد الا الضحك :

ـ ما لك يا مجاهد ؟ كنت تريد شيئا من المحافظ ؟

مجاهد يفيق في جزع . ينظر الى الصول على حصانه الابيض. قامة الصول في علو مئذنة ، ورأس مجاهد ـ على طوله الفارع ـ ادنى من بطن الحصان . صوته يأتي من بعيد :

ـ انا ؟ .. لا .. ابدا ..

الصول ينصرف قبل سماع الرد . مجاهد يجرجر قدميه . بندقيته تتهدل من فوق كتفه . رأسه مطأطأة . حذاؤه يغوص في وحل حارته ولا يبالي . امرأته تلحق به . تحمل طفلها المريض الذي يئن . تحادثه فلا يشعر بوجودها . نظراته تتأمل جيوش الذباب عن يمين وعن يسار، وهي تهب من سبانها عند مرورهم. طنينها وحركتها يتوازيان مع خطوات الموكب الصامت ، وخلف الموكب تموت الحركة ، ويصمت الطنين،ويحط الذباب ليختفي في اكوام « السباخ » .. مجاهد يضيق بالطنين،ويلعن القذارة والجهل ، والصمت والرطوبة . مجاهد يرفع رأسه الى السماء يلتمس اشعة الشمس . صورة الصول توفيق على حصانه الابيض تلوح كمارد اسطوري ، وسؤال يرد على خاطره فجأة : يا ترى في اي عربة من العربات الست كان المحافظ ؟

القاهرة — زهير احمد الشايب

مكتبة انطوان

تقدم لكم احدث المنشورات الفرنسية

وتخص بالذكر منهـا الكتب التالية :

***

MICHEL MOHRT	La Campagne d'Italie
GUNTER GRASS	Les Années de Chien
HENRI FRANÇOIS REY	Les Chevaux Masqués
CHARLOTTE GROZET	Le Même Piège
ROMAIN GARY	Pour Signarelle
M. DE SAINT - PIERRE	Sainte Colère
ALAIN ROBE-GRILLET	La maison de Rendez-vous
JEAN DAVID	Assassin
JEAN HUSSON	Le Cheval d'Herbeleon
RENE - VICTOR PILHES	La Rhubande